المحاضرة الثالثة : المنهج السيميائي

1_ مفاهيم عامة حول السيميائيات

2- اتجاهات السيميائية .

أ/ الاتجاه الأمريكي .

ب/ الاتجاه الفرنسي .

ج/ الاتجاه الروسي .

د/ الاتجاه الإيطالي .

3_ مبادئ السيميولوجيا

4_ النقد الموجه للسميائيات

المحاضرة الثالثة : المنهج السيميائي

1 - مفاهيم عامة حول السيميائيات:

إن السيميائيات علم واسع، وشامل وجامع في طياته الكثير من العلوم ،ولذلك فالمجال السيميولوجي لا يزال الناس فيه بين أخذ ورد، بسبب أنه لم يحدد بعد ، لذا من الصعب جدا وضع مفهوم محدد للسيميائيات، هذه الأخيرة التي يعلم الكل أنها تعني"علم العلامات"لكن المشكلة متعلقة بهذه العلامات التي هي أصل الوجود، والتي تمس جل جوانبه.

يعرف **دي سوسير** اللغة على أنها :" نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار ،وإنها لتتقارب بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم والبكم ،ومع الشعائر الرمزية ، ومع صيغ اللباقة ،ومع العلامات العسكرية (...) وإننا نستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية وانه العلاماتية (...) وأنه سيعلمنا مما تتكون العلامات وأي القوانين تحكمها".

أما الأمريكي **((شارل سندرس بيرس))** فقد ربط هذا العلم بالمنطق حيث يقول :ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا ،والسيميوطيقا شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات . وقد اهتم **((بيرس))** كثيرا بدراسة الدليل اللغوي من وجهة فلسفية خاصة .والسيميائيات عند كل الغربيين هي " العلم الذي يدرس العلامات، وبهذا عرفها كل من **((تدوروف))**و**((غريماس))**و**((جوليا كريستيفا))**و**((جون دوبوا))** و**((جوزيف راي دبوف))**. أما موضوعها فتحدده **((جوليا كريستيفا))** بقولها إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة علم أخذ يتكون وهو السيميوطيقا.فالموضوع الأساسي الذي تدور حوله السيميائيات هو "العلامة " ولا شيء سواها.

أما الباحثة **((سيزا قاسم))** فتقول أن هدف السيميوطيقا أو طموحها هو " تفاعل الحقول المعرفية المختلفة والتفاعل لا يتم إلا بالوصول إلى مستوى مشترك هو العامل السيموطيقي".ونستنتج من كل هذه التعاريف أن السيميائيات نظرية واسعة جدا لا يمكن الإلمام بكل جوانبها، فهي كما يقول **((سيعد بنكراد))** ليست سوى تساؤلات تخص الطريقة التي ينتج بها الإنسان سلوكاته، أي معانيه ، وهي أيضا الطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني.[1]

كانت هذه أهم الآراء التي دارت حول مصطلح "السيميائيات" في بلاد الغرب وفي بلادنا العربية ،فهو ككل الأعمال العظيمة التي يكثر حولها النقاش وتضاربت حوله الآراء ،وبدرجة كبيرة في الجانب المصطلحاتي كما في الجانب المفهومي، لا لينقص ذلك من قيمته بل على العكس. فقد ثبت للجميع أنه علم له مكانته المتميزة وسط العلوم والمناهج الأخرى. وقد اكتسبت السميائيات هذه المكانة بقدرتها على احتضان جملة من العلوم ، وبمرونتها في التعامل مع الظواهر المختلفة.

2- اتجاهات السيميائية :

تعددت اتجاهات السيميائية ومن بينها:

أ- الاتجاه الأمريكي:

إذا كانت العلامة قاسما مشتركا أعظم بين تفريعات السيميولوجيا أو السيميوطيقا ،خاصة هي الأساس الذي قام عليه الاتجاه الأمريكي.وإذا علمنا أن بيرس تحدث عن العلامة في كتابه :"كتابات حول العلامة "،وكان ذلك في وقت سابق على حديث سوسير عليها في كتابه:"دروس في الألسنية العامة"، فمن المؤكد أن بيرس هذا هو رأس هذا الاتجاه والذي يؤكد على خصوصية هذا الاتجاه رأي الرجل هذا في العلامة ما لم يره ((سوسير)) ، ومعنى ذلك أن رأيهما في هذا الصدد يتباينان تعريفا ومفهوما ومدى :الشيء الذي يجعل من

الرأيين أحدهما مناقضا للآخر ،ولعل المقابلة الآتية بين الرأيين كفيلة بتوضيح هذا التناقض:[2]

دي سوسير:

يعتبر ((سوسير)) أن العلامة تفصح عن علاقة ثنائية ، إذ أنها لا تجمع بين الشيء ومسماه ،ولكنها تجمع بين المفهوم الذهني والصورة السمعية(دال /مدلول)، أما طبيعة العلاقة بينهما فهي علاقة اعتباطية الموجودة بين الدال والمدلول وهو ما جعله يرمي بالواقع خارج حدود العلامة وذلك لأن سوسير درس اللغة كما لو كانت نظاما متعلقا بعضه ببعض مركزا على علاقة الجزء بالكل. أما ((بيرس)) فيعتبر أن العلامة تفصح عن علاقة ثلاثية : ممثل أول يحيل على موضوع ثان بواسطة مؤول (بالكسر) الثالث ،هذه العلاقة الثلاثية مبنية على مقولة رياضية بمقتضاها أن كل نظام لابد أن يكون ثلاثيا ،ومن هنا صح لـ ((بيرس)) أن يستخلص مقولاته الظاهراتية وهي :عالم الممكنات الذي هو الأولانية ،وعالم الموجودات الذي هو الثانيانية ،وعالم الواجبات الذي هو الثالثانية. تعني المقولة الأولى الكائن فلسفيا، والثانية الوجود، والثالثة تعني الفكر في محاولته تفسير الأشياء. العلامة إذن تمثل الموضوع في حين يمثل المؤول الفكرة أو الحكم الذي يساعد على أن يكون تمثيل العلامة للموضوع تمثيلا حقيقيا.

العلامة لدى ((سوسير)) علامة لغوية لا غير ، وطبيعة العلاقة بين دالها ومدلولها أعتباطية ، مما يجعل الواقع خارج العلامة .

العلامة لدى ((بيرس)) ،كما تكون لغوية تكون غير لغوية ،وهي من حيث طبيعتها ووظيفتها أشكال ثلاثية: الأيقونة، الإشارة، الرمز.

علامة ((سوسير)) أساس للسيميولوجيا، وهي بهذا المفهوم تعتبر جزءا من علم النفس العام.

علامة ((بيرس)) أساس للسيميوطيقا، وهي بهذا المفهوم تعتبر جزءا من علم المنطق.[3]

ويمكن ملاحظة أن ((دي سوسير)) لغوي، أما ((بيرس)) فيلسوف ومنطقي وعالم مساحة، إنه في فلسفته وفي منطقه ينتمي إلى المدرسة الأمريكية المسماة بالذرائعية، ولذا فكل واحد منها أخذ العلامة من الزاوية التي تهم اختصاصه ،وطبيعي أن يكون ما بينها من الاختلاف في مفهومها هو ما بين موضوعي المنطق واللغة من الاختلاف.

ب- الاتجاه الفرنسي :

يشتمل الاتجاه الفرنسي في السيميولوجيا على مجموعة من التوجهات،كل واحد منها يستعمل مصطلحا ليدل به تقريبا على نفس الشيء، ولكن هذا المصطلح إن دل على نفس الشيء، فهو في نفس الوقت سمة من سمات الاختلاف بين هذه التوجهات. فالذين يستعملون السيميولوجيا للدلالة على أنظمة العلامات، يحبذون استعمال هذا المصطلح السيميوطيقا ليدلوا به على نفس العلم ،مع بعض الإضافات والتفريعات، فهم إنما يفعلون ذلك لأنهم يرونه أكثر دلالة من المصطلح السابق. لكن الذين يستعملون مصطلح السيمانااليز فإنما قصدهم الدلالة والغاية الدلالية للعلامات. أما الذين يستعملون مصطلح الرمز، فلكي يوسعوا من حقل التحليل، لأنهم مع المصطلحات الثلاثة السابقة يحسون بضيق المجال، والحالة أن مفهومهم للتحليل يتطلب مجالا أرحب وخصوبة أكثر.[4]

ج- الاتجاه الروسي:

ربما كانت الأبحاث السيميولوجيا حديثة العهد في روسيا ولكنها مع ذلك وفي فترة جد قصيرة ،عرفت ازدهارا كبيرا بين أحضان الشكلانيين الروس الذين استمر مذهبهم حيا من سنة 1915 إلى 1930 .وكان الذي عمل على ظهور هذا المذهب الشكلاني تفشي الأزمة المنهجية التي تميز بها الأدب الروسي لهذا العهد ،حيث كان خاضعا إلى هيمنة النقد الاجتماعي الإيديولوجي خضوعا قاده إلى درب مسدود .كان على الرمزيين أولا أن يقاوموا

هذا النقد ويؤكدوا ما بين الأدب والميتافيزيقا من علاقة حميمية .كما كان على الشكلانيين ثانيا أن يعضدوا جانب هذه المقاومة ولذلك انطلقوا من مبدأين اثنين: الأول لخصه ((جاكبسون)) حين ألح على أن موضوع علم الأدب هو الأدبية. وليس الأدب، الشيء الذي يحصر الاهتمام في النص لا غير. والثاني رفض ثنائية الشكل والمضمون وإعطاء الهيمنة إلى الشكل .

وقد تأسست مدرسة موسكو الألسنية بين 1914 و1915 .وكانت تأخذ في البحث اللساني مأخذ الشكلانيين وكان ((جاكبسون)) من أبرز ممثليها فإن هذا الأخير سرعان ما توجه إلى براغ سنة 1920 ،حيث أسس مدرستها اللسانية على نفس المفاهيم الشكلانية التي علافها في روسيا.

والحق أن أعمال الشكلانيين الروس غمرها النسيان طيلة عشرين سنة أو تزيد،ولم تستعد اعتبارها إلا بعد أن اهتم الغربيين بنشرها مترجمة عن الروسية الشيء الذي جعلها الآن تعرف في روسيا نفسها رواجا كبيرا انعكست فائدته على تلك المدرسة البنيوية الأدبية الجديدة التي أسست في جامعة ((تارتو)) .كما انعكست فائدته أيضا على المدرسة المسماة بجمعية دراسة اللغة الشعرية، تلك التي تأسست منذ سنة1916 من حيث لا تزال مستمرة العطاء إلى اليوم[5].ويمكن حصر مبادئ الشكلانية فيما يلي:

أنها تعتبر الأدب مستقلا عن الروافد الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل على إفرازه. لقد توجهت الشكلانية بهذه الفكرة أساسا نحو دحض ما نادت به المناهج التقليدية النقدية والمنهجية ،وخاصة منها المنهج التاريخي ،من اعتباط العمل الأدبي بروافده ،تلك التي تدرس وتحلل معه على قدم المساواة .

أنها أخذت بعين الاعتبار ما جاء عن علاقة في رأي ((بيرس)) و ((سوسير)) وحاولت توفيق بينهما فيما يلتقيان عنده من غير أن تفكر في وجود اختلافهما وهذا ما فعله بالضبط ((منسفيت)) .

أنها استعملت مصطلح السيميوطيقا بدل مصطلح السيميولوجيا .

أنها على لسان مدرسة ((تارتو)) ، استطاعت أن نميز بين ثلاثة مصطلحات تبنت أوسطها: ميزت بين السيميوطيقا الخاصة بدراسة أنظمة العلامات هادفة بذلك إلى التواصل، وبين ماسميته (السيميوطيقا المعرفية) المهتمة بالأنظمة السيميولوجية وبما هو تشبيه بها وبين السيميوطيقا العامة التي إليها تؤول مهمة التنسيق بين جميع العلوم الأخرى.

أنها كانت تعتقد أن الأنظمة تستهلك وتجدد نفسها باستمرار.كما كانت تعتقد أن الفن يجهد نفسه من أجل جعله رؤية الأشياء جديدة.[6]

د- الاتجاه الإيطالي:

ظهر اتجاه سيميوطيقا الثقافة ،التي تعود جذورها إلى فلسفة الأشكال الرمزية عند ((كاسيرير)) وإلى الفلسفة الماركسية، أما أهم رواد هذا الاتجاه فنجد في الاتحاد السوفياتي،((يوري لوتمان))و((إيفا نوف))و((تدوروف)) وفي إيطاليا ((روسي)) ، ((لاندو)) و((أمبيرتو إيكو)). [7]وتنطلق سيميولوجيا الثقافة من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية. والثقافة عبارة عن إسناد وظيفة للأشياء الطبيعية وتسميتها وتذكرها .وهي بذلك تكون مجالا لتنظيم الإخبار في المجتمع الإنساني ،إذ ترسخ التجارب السابقة وتلعب دور البرنامج وتشتغل كتعليمات .

إن إدراك الإنسان للعالم تبرمجه الثقافة بواسطة أنساقها الدالة اللفظية أو غير اللفظية التي تؤطر عمل الإنسان وممارسته الاجتماعية. وهكذا فالثقافة نسق مكونا من عدة أنساق (لغات طبيعية واصطناعية وفنون وديانات وطقوس...)، وكل نسق من هذه الأنساق ليس نسقا تواصليا فحسب، وإنما هو نسق منمذج للعالم... وهكذا يصبح كل

نسق ثقافي نسقا تواصليا بما أن الموضوع الثقافي قد صار المحتوى الممكن لأي عملية تواصلية ويعني ذلك أن قوانين التواصل هي قوانين ثقافية.[8]

ومن أبرز عناصر هذا الاتجاه هو((أمبيرتو إيكو)) الذي يرى أن الثقافة لا تنشأ ولا تتطور إلا بتوفر شروط ثلاثة هي:

حينما يسند كائن مفكر وظيفة جديدة للشيء الطبيعي

حينما يسعى ذلك الشيء باعتباره يستخدم إلى شيء ما، ولا يشترط أبدا قول هذه التسمية بصوت مرتفع كما لا يشترط فيها أن تقال للغير.

حينما نتعرف على ذلك الشيء باعتباره شيئا يستجيب لوظيفة معينة وباعتباره ذا تسمية محددة ولا يشترط استعماله مرة ثانية وإنما يكفي مجرد التعرف عليه.

إن ((أمبيرتو إيكو)) لا ينظر إلى الأشياء في استقلاليتها ،وإنما في ربطها بالسلوكات المبرمجة من طرف الأشخاص وبالتالي "فأي نسق تواصلي يؤدي وظيفة ما".[9]

أما ((لاندي)) فإنه يحدد سيميوطيقيته من خلال أبعاد البرمجة التي يمكن حصرها في ثلاثة أنواع:

أنماط الإنتاج (مجموعة قوى وعلاقات الإنتاج)

الإيديولوجيات (تخطيطات اجتماعية لنمط عام)

برامج التواصل (التواصل اللفظي وغير اللفظي)

إن السيميوطيقا عند ((لاندي)) مرتبطة أشد الارتباط بالجانب الإيديولوجي المرتبط بدوره بالسلوكات الإنسانية فلاندي إذن يهدف إلى الكشف عن كل سلوكات الإنسان وتعريتها من خفاياها الإيديولوجيا المختلفة .

لقد ركز الاتجاه الايطالي في تركيزه على سيميوطيقا الثقافة هو"أن الظواهر الثقافية ذات مقصديه تواصلية".[10]

3- مبادئ السيميولوجيا :

1- أن السيميولوجيا لا تفصل العلامة على غير اللغوية، بل تعمل على إعادة صهر الأنساق اللغوية والنماذج المنطقية أو الرياضية

2-تتخذ مجالها في النص كممارسة دالة

3-تختلف الأسئلة التي تطرها على النص بحسب اتجاه الباحث

4-تبحث عن خلال بنية الاختلاف (في الشكل والمضمون) أي لغة الشكل والمبنى فهي بذلك لا تهتم بالنص ولا بكاتبه. وإنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد وهو كيف قال النص ما قاله أي محتواه،ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد لنحدد معناه، وهذا العمل يقوم على مبادئ:

-**تحليل المحايث:** يقصد بالتحليل المحايث البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة، وإقصاء المحيل الخارجي ،وعليه فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات التي تربط بين العناصر، وهذا من باب أن العلاقة التي تقوم بن العمل الأدبي ومحيطه الخارجي لا ترقى إلى مستوى تأسيس معنى عميق للنص، وعليه "فالتحليل السيميائي لممارسة وصفية محايثة في مجال تحليل الخطاب تمكن من توسيع معطيات المقاربة النصوص اللفظية غير اللفظية " وبهذ الكيفية قامت المقاربة السيميائية بتوسيع المعطيات الخطابية المختلفة.

-**تحليل البنيوي:** أي أنه يستمد الكثير من مبادئه من المنهج البنيوي اللساني "إن التحليل السيميولوجي تبنى الإجراءات والمنهجية البنيوية التي أرساها دو سوسير أي عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة العلاقات القائمة بينهما .

- **تحليل الخطاب:** أي أنه يهتم بالخطاب ،أما يسمى بالقدرة الخطابية وهذا ما يميزه عن اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة، حيث تتصف السيميائيات بالصفة التحليلية أي مساءلة الخطاب في شتى تجلياته " الأمر الذي أفرز قطبين يتجاذبان الاهتمام الإجرائي للنظرية السيميائية " حيث يمثل الأول النص بينما يمثل الثاني السياق وعليه فالإجراءات التحليلية تحاول أن تجمع بين هذين القطبين ومن ثمة فقد عني التحليل السيميائي بالخطاب في مختلف مظاهره: المسرح، الشعرية السيميائية وغيرها.[11]

-كما جاءت السيميائية لتقرب العلوم الإنسانية من حقل العلوم التجريبية بتبنيها آليات وشروط نجعلها أكثر انضباطا بالرغم من اعتماد مبدأ الإشارة الحر فالتحليلات السيميائية ترتكز إلى خطوات محددة يبسطها المحلل ويعرف قارئه قبل الشروع بالتحليل.

-تهتم السيميولوجيا بدراسة حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية

-تنطلق من تحليل النص الأدبي من اعتباره يحتوي على بنية ظاهرة وبنية عميقة يجب تحليلهما وبيان ما بينهما من علائق.

-استمدت بعض مبادئها من الأطروحات الوضعية في جنوحها للشكل وميلها نحو العلمية .

4- النقد الموجه للسميائيات :

لا يخلو منهج من المناهج أو اتجاه من الاتجاهات من النقد ،وكذلك فمن البديهي ألا تسلم السيميولوجيا من النقد ولذلك النقد الذي وجه لكافة من اهتموا واشتغلوا بهذا الاتجاه على كافة المستويات .

فالنسبة لـ **"تدوروف"** لايمكن الحديث غن بناء علمي متكامل ، وبالرغم من أعمال **((بيرس))و((سوسير)) و((إيريك)) و((بويسنس)) و ((جاكبسون)) و((بارت)) و ((هلميسليف)) و ((كارناب))** وغيرهم فإن السيميائيات تظل مجموعة من الاقتراحات أكثر منها علما أو كيانا، معرفيا مؤسسا تأسيسا سليما.

وقد اعترف ((رولان بارت)) قبل ((تدوروف)) أن السيميولوجيا،كما هي في حدودها "ليست فخا ميتافيزيقيا ،وإنما هي علم من علوم أخرى تعتبر ضرورية، لكنها غير كافية.

وقد خطا **((مارسلو داسكال))** خطوة أخرى في نقده لهذا المنهج حينما أعتبر أن الدراسات السيميولوجية المعاصرة على كافة اتجاهاتها لا تزال في طفولتها وهي لم تتحول إلى سيميولوجيا واحدة متوفرة على تجانس منهجي ومفاهيمي، ومن ثم "فإن السيميولوجيا لا تزال في مرحلة ما قبل الأنموذج من تطورها كعلم".

وهذا النقد الذي وجه إلى جانب النظرية نضيف إليه النقد الذي وجه إلى الجانب التطبيقي لمفاهيم هذه النظرية السيميولوجية ونذكر ما قاله العالم الغوي ((بنفنسيت)) في كتابه (طبيعة العلامة اللغوية)، فهو يوافق على نظرية بأكملها، لكنه يريد أن يقوي من عنصرها بشأن مسألة أعتقد أن ((سوسير)) خانته الصلابة والتماسك لدى معالجتها :وهي أن الاعتباط يقع بين العلامة (دالا ومدلولا) والشيء الذي تعنيه ليس بين (الدال والمدلول).[12]

الإحالات :

---

[1] فيصل الأحمر،معجم السيميائيات،المرجع السابق،ص16،17،18.

[2] محمد الرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، دار البيضاء،د.س، ص55.

[3] نفس المرجع:ص 56،57.

[4] نفس المرجع السابق:ص 58،59.

[5] محمد الرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، د،ط، دار البيضاء، د.س، ص62،63.

[6] المرجع نفسه: ص65،66.

[7] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص97.

[8] مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميولوجيا المعاصرة، ت:مجموعةمن المؤلفين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 1987.ص7.

[9] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص100.

[10] المرجع نفسه:ص100،101.

[11] عبد القادر دحدي: التحليل السيميائي في النقد الأدبي الجزائري الحديث عبد المالك مرتاض أنموذجا، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2013.2014، ص 34.35.

[12] عصام خلف:المرجعالسابق،ص 38،39.